

I- نشاط المنظمة

1- معالم الحضارة العربية والإسلامية في إفريقيا

يقام الدكتور محيي الدين صابر

(ألقى الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العام
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بحثا في المؤتمر
العالمي بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية الذي نظمته
وزارة التعليم العالي في دمشق في الفترة : 20 - 26
أبريل 1981 ، نقدم خلاصته .)

السائد الذي أعطى لإفريقيا طابعها الحضاري المميز، فلم يحدث لها مثل هذا التأثير الجماعي الذي تعرضت له الحضارة العربية الإسلامية من قبل ، على امتداد تاريخها الطويل . وقد ظلت المستقرات العربية منتشرة في إفريقيا وفي الجزر المتصلة بها ، حتى جاء الاستعمار الأوربي ، الذي قايمه العرب على شواطئ إفريقيا الشرقية بصفة خاصة قرونا ، وحين طبع الأوربيون ، في استغلال الموارد الطبيعية في داخل إفريقيا ، بعد أن أدى استغلال الموارد البشرية ، عن طريق تجارة الرقيق الذي مارسوه بوحشية ، دوره الاقتصادي تعرضت القارة لهجمة حربية كبيرة ، بلغت ذروتها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كانت القوة التي وقفت في وجه الفزوة الإحتيبي ، هي القوة العربية الإسلامية ، وبرزت أسماء ثوار من العلماء ، في غرب إفريقيا ، مثل الحاج عمر تالي ، وفي وسطها مثل عثمان دان فوديو ، وفي شرقها مثل الشيخ عبد الله الحسن في القرن

المصلة بين العرب والإمارقة تدببة ، قدم المنابت العربية في الجزيرة وما حولها ، وقدم القارة الإفريقية نفسها ، فكانت هناك طرائق اتصالات طبيعية ، البحر والصحراء ، اللذان تملك العرب وسائلهما منذ قديم ، فلم تعد هناك عوائق في الاتصال البشري المباشر ، والاختلاط المبكر بين الإمارات والعرب . فالاختلاط البشري بينهما سبق ظهور الإسلام بكثير من الزمن في تعامل تجاري وفكري وسياسي .

وجاء الإسلام ، فتغير مضمون هذا اللقاء واتخذ طابعا عاليا ، ودخل الإسلام الى إفريقيا سالما ، وتلقاه الإفريقيون ، واسهموا فيه أسهاما واسعا ، فعملوا على نشره ، والدفاع عنه ، واشتركوا في الانتاج الفكري الإسلامي ، في جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية ، عن طريق علمائهم ومفكرينهم ، وتبنوا كل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في فنونهم ، وفي نمط حياتهم الاجتماعية ، وفي نظمهم السياسية . وظل هذا الوجود الإسلامي ، هو الوجود الحضاري

الافريقي ، والمهدى ورايح الزبير في السودان الشرقي ،
والسنوسية في الصحراء الكبرى ، وفي السودان
الايوسط والامير عبد القادر وعمر المختار والامير
عبد الكريم في شمال افريقيا ...

وظل الوجود العربي قائما في افريقيا حتى
الستينات من هذا القرن الى ان ضمت جزيرة زنجبار
التي كان على رأس الدولة فيها حاكم عربي مسلم ،
بطريقة ماسوية ، نتيجة لما بثه الاستعمار الغربي
من سموم في العلاقات العربية الافريقية ، التي
نتجائيا وتكونت منها جمهورية تنزانيا الحالية التي
يشكل السكان المسلمون فيها رغم كل شيء اغلبية
صامتة .

وفي كل هذه الفترة كان العرب جزءا من المجتمع
الافريقي المسلم ، ولم يكونوا ليمثلوا عنصرا دخيلا ،
وكان الافريقيون كذلك جزءا عضويا في النسيج العربي
الاسلامي . ولم يكن امام الاستعمار من قوة حقيقية
لمقاومة نفوذه الفكري والاجتماعي بعد مقاومته
العسكرية ، الا القوة العربية الاسلامية . واعتد
الاستعمار على فرض لغته وثقافته ودينه ، على
حساب الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، واتخذ لذلك
مؤسسات المدارس التبشيرية ، التي كانت تعلم اللغات
الاوربية ، وتتعهد الاطفال الامارقة متنصرهم ، وتغير
اسماهم باسماء مسيحية ، وكان لا بد للاستعمار
من الانتظار فترة طويلة حتى تتكون اجيال جديدة وهكذا
فصل .

هذا وقد حجب معظم المسلمين ابناءهم عن
تلك المدارس ، خوفا على عقيدتهم ، فلما جاء الاستقلال
في الستينات ، وجد المسلمون انفسهم متخلفين ، وكان
ان جاء على رأس تلك الحكومات الوطنية ، في البلاد
الاسلامية ، حكام من الافارقة المسيحيين الذين
تعلموا في المدارس الاوربية والذين كانوا يعاونون
المستعمرين في الادارة الحديثة ، وفي التنظيم الفني
والتقني للمجتمع على النمط الاوربي .

هذا وقد ظل الهم الاكبر للاستعمار ، هو ،
الميل المنتظم المدرس ، على قطع صلة الاجيال
الافريقية بالتراث العربي الاسلامي ، فغير كتابة
اللغات الافريقية من الحرف العربي ، الذي كتبت
به من قبل ، ثلاثون لغة افريقية لمدة قرون الى
الحروف اللاتينية وهذا يعنى القطيعة مع التسرات

الافريقي الذي تراكم خلال قرون طويلة من انتاج
العلماء الافارقة ، واهمال ذلك التراث وحجبه عن
الافريقيين .

وانه من حق الافريقيين اليوم ان تعاد الصلة
الفكرية والثقافية بين العرب والافارقة ، ليتعرفوا
على تراثهم وانتاجهم الفكري ، ومسؤولية العرب
في هذا كبيرة .

وامتداد للنضامين بين قوى التحرر العربية
والافريقية من اجل الاستقلال نشا تعاون وثيق بين
العرب والافارقة ، في المجالات الاقتصادية والسياسية
في اطار المنظمات الاقليمية والدولية وفي النطاق
الثاني وهو تعاون ينمو يوما بعد يوم . ومع هذا
فان العون الثقافي وهو الذي يزيد مع الزمن ، لانه
الاستثمار في الانسان ، ينبغي ان يعطى اولوية خاصة
في نطاق خطة التعاون العربي الافريقي ذلك ان العون
الثقافي هو عون له هوية وشخصية وتعبير انساني ،
اما العون المادي فمع اهميته فانه يمكن ان يأتي
من اي مصدر عالمي ، آخر . وحتى في مجال العون
المادي العربي الافريقي ينبغي ان يكون هناك مجال
لتفاعل الاجتماعي والانساني ، وذلك بجعل الخبرة
العربية الفتية والمعونة الثقافية موصولتين ، بقدر
الامكان ، بوجوه التعاون المادي او جزء من ذلك
التعاون .

كذلك فانه ينبغي ان تكون هناك توعية
للافارقة وللغرب معا ، بالدور الايجابي وبالاضافة
التي قدمها العلماء والافارقة الى الفكر العربي
الاسلامي .

ومن وسائل ذلك ، نشر المخطوطات الافريقية
العربية والمكتوبة في اللغات الافريقية بالحرف العربي ،
ووضع التواميس ، واجراء البحوث حول العلاقات
الافريقية العربية وتصحيح التاريخ المشترك الذي
شوهه الاجانب واعادة النظر في المناهج الدراسية ،
وتوسيع المنح الدراسية والبعثات العلمية المشتركة ،
وانشاء اقسام للدراسات الافريقية في الجامعات
العربية وفي الجامعات الافريقية للدراسات العربية
وانشاء مركز افريقي عربي ، للقيام على هذه المجالات .
بهذا نكون قد بدأنا خطوة صالحة في مطلع القرن
الخامس عشر لتحرك اسلامي في تجديد العلاقات
مع رقعة هي جزء غال على الامة العربية الاسلامية .